الباب الخامس

سيكولوجية الفروق الفردية

الفصل الرابع عشر: الفروق الفردية.. مدخل عام.

الفصل الخامس عشر: مظاهر الفروق الفردية بين المتعلمين.

الفصل السادس عشر: الفروق الفردية في ضوء الهدي الإسلامي.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع عشر

الفـروق الفرديـــة

مدخل عـــام

- **الأهداف:**

(١) أن يتعرف المتعلم إلى ماهية الفروق الفردية.

(٢) أن يعرف المتعلم تاريخ دراسة الفروق الفردية.

(٣) أن يفسر المتعلم كيفية اكتشاف الفروق الفردية.

(٤) أن يعرف القارئ العوامل المؤثرة في الفروق الفردية.

(٥) أن يقدر المتعلم جهود العلماء في اكتشاف الصفات المتشابهة التي توضح الفروق الفردية.

(٦) أن يتعرف المتعلم إلى أهمية دراسة الفروق الفردية.

(٧) أن يتعرف المتعلم إلى أنواع الفروق الفردية.

(٨) أن يتعرف المتعلم إلى مظاهر الفروق الفردية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع عشر

الفـروق الفرديـــة

مدخل عـــام

تمهيد:

مــن المتفق عليــه أن المتعلمين يختلفون فيمــا بينهم اختلافات واضــحة وبينة في النواحي الجسمية والعقلية والمعرفية والانفعالية، وغيرها من خصائص الإنسان.

لذلك من الأهمية بمكان إيضــاح هذا الموضــوع، الذي يمثل جانبًا مهمًّا في العملية التعليمية.

والفــروق الفرديــة تمثــل الاختــلاف بين الأفــراد، وهــي ظاهرة عامة فــي مختلف الكائنات، وظاهرة الاختلاف والتباين بين البشر على جانب كبير من الأهمية. وقد اهتم الإنسان في مراحل تاريخه البشري بملاحظة الفروق بين الأفراد.

وظاهرة الفروق الفردية Individual Differences تمثل تفرُّد الإنسان، وتُعدّ من أهم حقائق الوجود.

وكثيرًا ما نجد الصــغار داخل الأسرة الواحدة، الذين هم من الذكور والإناث، ومن الأشــقاء والشــقيقات، يختلفون بعضــهم عن بعض في جوانب متعددة، وتتمايز قدراتهم واستعداداتهم وأنماط سلوكهم في مواقف الحياة المتعددة اليومية وعلى مدار أعمارهم.

obeikandl.com

تعريف الفروق الفردية :

تعـرف الفروق الفردية بأنها (مقياس علمي لمدى الاختلاف القائم بين الناس في صـفة مشتركة، عقلية أو نفسـية، أو جسـمية). وهي تمثل: (انحراف الفرد عن متوسط الجماعة في سـمة معينة)، وتعرف أيضًـا بأنها: (مقياس علمي لمدى الاختلاف القائم بين الناس في صفة مشتركة، كانت عقلية أو نفسية أو جسمية).

نظرة تاريخية :

بعد دراسـة أحد العلماء لسلالات بشـرية عدة وخصائصها النفسية والاجتماعية، توصـل إلى عبارة شـهيرة هي: (إن الإنسـان على نحو ما يُشبه كل الناس، وعلى نحو آخر يُشبه بعض الناس، وعلى نحو ثالث لا يُشبه أحدًا من الناس).

هذه العبارة توضح معنى الفروق الفردية، فتشابه الإنسان مع غيره أمر طبيعي، ولكن هـذا التشـابه لا يعني التطابق. أي إن الإنسـان على الرغم من تشـابهه مـع كل الناس، إلا أنـه يوجـد بينه وبين غيره فروق فردية. تلك الفروق لا تقتصـر على الأفراد، بل توجد بين الجماعات كذلك، كالفروق بين السلالات والطبقات الاجتماعية. أي إنه إضافة إلى الفروق بيـن الأفـراد، توجد فروق أخرى بيـن الجماعات. ومع هذا، فكل إنسـان يمثل حالة فريدة متميزة عن غيرها لوجود تفاوت وفروق لدى الفرد الواحد في درجات سماته وخصائصه. إن هذا يوضح وجود فروق بين الأفراد، وبين الجماعات، وداخل الفرد الواحد.

لقد أدرك الفلاسفة منذ القدم وجود الفروق الفردية بين الناس، فقسم هيبوقراط وأفلاطون الناس إلى فئات عدة. قسـمهم الأول إلـى أربعة أنماط، وأطلق عليها الأمزجة الأربعة. فقد يكون الفرد صـاحب مزاج دموي أو بلغمي أو صـفراوي أو سـوداوي، وذلك بناءً على النسـب بين السـوائل الموجودة داخل الجسم. فإذا زادت نسبة الدم كان الفرد صـاحب مزاج دموي، وإذا غلب البلغم أصبح الفرد صاحب مزاج بلغمي، وهكذا بالنسبة إلى الصفراء والسوداء.

وبيّـن هيبوقراط أن لكل نمط سـماته الخاصـة، فصـاحب المـزاج الدموي يتميز بالسرعة والمرح والانفعال الشديد، ويتميز صاحب المزاج الصفراوي بسهولة الاستثارة والانفعاليـة، وبغلبـة الانفعالات الحزينـة عليه. أما صـاحب المزاج السـوداوي، فيتميز بسـرعة التعرض للاكتئاب والهـدوء الانفعالي. وأخيرًا يتميز صـاحب المـزاج البلغمي بالبطء والبلادة.

وقسـم أفلاطون الناس إلى ثلاث طبقات بناءً على درجة تميز وسيطرة إحدى قوى النفـس الثلاث: (العقل أو الغضـب أو الشـهوة)، على باقي القوى. فإذا سـيطرت القوة العاقلة، أصبح الفرد من طبقة الحكماء والفلاسفة والعلماء. وإذا سيطرت القوة الغاضبة وتفوقت على بقية القوى، أصـبح الفرد من طبقة الجند والحراس. أما إذا سـيطرت قوة الشهوة وتفوقت على بقية القوى، أصبح الفرد من طبقة العوام.

وذكـر أفلاطـون أنه لـم يولد اثنان متشـابهان، بـل يختلف كل فرد عـن الآخر في المواهب الطبيعية، فيصلح أحدهما لعمل بينما يصلح الثاني لعمل آخر.

ومع تطور علم النفس واسـتقلاله عن الفلسـفة، أخذت دراسة الفروق منحى آخر. ومن الغريب أن الدراسـة المنظمـة للفروق الفردية لم تبدأ بعلـم النفس، بل بدأت بعلم الفلك. ومما يُذكر في هذا الشـأن أنه حدث سـنة ١٧٩٦ أن فصل مدير مرصد جرينتش مساعده؛ لأنه لاحظ الأزمنة في أثناء رصده لمسار الكواكب متأخرًا ثانية واحدة، وكانت طريقته في عملية الرصـد معتمدة على الملاحظة العادية باسـتخدام العين والأذن، ثم اسـتخدم السـاعة في ملاحظة الوقت بالثانية، وكان يعدّ الثواني بدقات السـاعة، فكان يلاحظ النجم في أثناء عبوره مجال التليسـكوب، ويركز انتباهه في موضـع النجم عند الدقة الأخيرة للسـاعة التي سبقت مباشرة وصـوله إلى الخط الحرج Critical للمجال، ثـم فـي موضـعه عند الدقة الأولى للسـاعة التـي تلي مباشـرة عبوره لهـذا الخط. ومن هاتيـن الملاحظتين كان يتسـنى له تحديد الوقت الذي عبـر عنده النجم الخط الحرج. ومـن الطبيعـي أن يكون في كل خطوة من هـذه الخطوات مجال لظهـور الفروق الفردية

والاختلاف من شخص إلى آخر في القدرة على التركيز والملاحظة السريعة.

وسنة ١٨١٦، قرأ بيزيل Besel، وهو فلكي في كنزبرج Konigsberg تاريخ مرصد جرينتش، واهتم بقياس ما عُرف بعد ذلك باسم المعادلة الشخصية Personal Equation للملاحظين المختلفين، وفي هذا اعتراف بأن الذي كان يُعدّ خطأ في حادثة كنبروكس، إنما هو في الحقيقة مظهر من مظاهر الفروق الشخصية.

ولقد جمع بيزيل معلومات عن كثير من الملاحظين المدربين ونشرها، ولم يشر فقط إلى وجود مثل هذه المعادلة الشخصية أو الخطأ عند مقارنة الملاحظين المختلفين، بل أشار كذلك إلى تغير هذه المعادلة من وقت إلى آخر. ومعنى هذا أنه فطن إلى مدى التغير داخل الفرد الواحد، أي إلى الفروق بين الفرد ونفسه في مراحل مختلفة.

كيفية اكتشاف الفروق الفردية:

نحتاج إلى معرفة كيفية اكتشاف الفروق الفردية، حيث إنه من المعروف أنه تم اكتشاف ظاهرة الفروق الفردية - أول الأمر - في عالم الفلك. قبل أن تكتشف بوصفها ظاهرة لها أهميتها في علم النفس، وهناك حادثة مشهورة تشير إلى أن أحد العاملين في رصد الأرصاد الفلكية، لتحديد التنبؤات الجوية، ضمن العاملين بالأرصاد الجوية، فصل من عمله؛ لأنه كان يتأخر في رصد حركة النجوم، وذلك تسبب عنه خطأ في تقدير التنبؤات الجوية في زمن لم يكن يتجاوز بضع ثوانٍ. ونسب إلى هذا العامل الإهمال في عمله ما تسبب في فصله، ثم اتضح فيما بعد أن هذا التأخر ليس راجعًا للإهمال، وإنما هو راجع إلى الفروق الفردية في عملية الإدراك Perception، وهي عملية عقلية تحتاج إلى سرعة إدراك المرئيات أو الأشكال أو الأفكار، وما يتبعها من سرعة الاستجابة Speed Of Response وأُطلق على ذلك في علم النفس (زمن الرجع Reaction Time) وزمن الرجع هو الزمن الذي يمضي بين ظهور المثير Stimulus وحدوث رد الفعل Reaction والاستجابة على هذا المثير. وزمن الرجع هذا يختلف من فرد إلى آخر بوجه عام، فالشخص الذي

يتميز بزمن رجع قصير، هو الذي يُعطي استجابات سريعة بمجرد ظهور المثير والمنبه، وهذه الميزة تحتاج إليها مثلًا في عمل قائد السيارة؛ لأن قائد السيارة مضطر دائمًا إلى الاستجابات الحركية السريعة عند مجرد ظهور المثير المفاجئ أمامه، وخاصة عندما تزداد حركة المرور في الطرقات والشوارع التي تكثر فيها حركة السيارات أو المشاة.

ولنعد إلى حادثة رصد الكواكب، عندما اكتشف أن الناس يختلفون في سرعة استجاباتهم في رصد الكواكب، فقد وضع الفلكيون - آنئذ - ما يسمى المعادلة الشخصية Personal Equation، وهي معادلة حسابية لتصحيح تقديرات الملاحظين من عملية الرصد، حتى تكون النتائج صحيحة ودقيقة. ومن الطبيعي أن يكون لكل شخص من الملاحظين معادلته الشخصية الخاصة به، وبذلك تغلب الفلكيون على مبدأ الفروق الفردية في الملاحظة، وكان هذا أول اعتراف عُرف في التاريخ بالفروق الفردية في الملاحظة والاستجابة. ويعود الاعتراف بالفروق الفردية في علم النفس إلى «أرسطو» و«أفلاطون» ففي جمهورية أفلاطون، نجد أنه حدد الأعمال المختلفة في هذه الجمهورية، حيث قام بوصف متطلبات كل عمل والقدرات اللازمة للنجاح فيه، وهذا يؤكد من جديد اختلاف الأفراد في قدراتهم واختلاف الأعمال في القدرات اللازمة لها.

وهكذا كان اكتشاف الفروق الفردية، في دقة ملاحظة رصد النجوم في المراصد الفلكية، وكان من آثار ذلك بدء تحديد ودراسة الفروق الفردية بين البشر، وهو أمر على جانب كبير من الأهمية، في تحديد الفروق الفردية بين الأفراد عامة وبين المتعلمين - في العملية التعليمية - بصفة خاصة.

العوامل المؤثرة في الفروق الفردية:

من ناحية طبيعة الفروق الفردية وأسبابها، وجد أن هناك اتجاهين يمثلان الفكر الإنساني - منذ القدم - في تفسير طبيعة الفروق الفردية، وهما:

١- أن البيئة والمجتمع فيهما من إمكانيات وتأثيرات متعددة، هما السبب وراء ظهور

الفروق الفردية. حيث يُفهم من هذا الاتجاه أن البشر متساوون فيما لديهم من إمكانيات واستعدادات وقدرات، وأن الفروق التي تبدو بين الأفراد - بالنسبة إلى هذا الاتجاه - مرجعها أن فرص تنمية هذه الإمكانيات والاستعدادات، والقدرات ليست واحدة أي ليست متكافئة. ولذلك يهتم المؤيدون لهذا الاتجاه بضرورة تهيئة الفرص المتكافئة أمام الجميع، أي إتاحة كل الفرص أمام جميع أفراد المجتمع.

٢- ويؤكد الاتجاه الثاني إرجاع الفروق بين الأفراد إلى خصائص بيولوچية (وراثية في الأعم) نتيجة لاستعدادات وراثية أو چينات تحملها الكروموسومات للوالدين، ويرثها الأبناء من الأبوين، ولذلك يُنادي أصحاب هذا الاتجاه بأنه على الجميع أن يستفيد بما يظهر فيه من مواهب وعبقريات وابتكار بين المجتمع المتفوق ومن غيرهم.

ويلجأ كثير من الدارسين في مجال علم النفس والعلوم السلوكية إلى تفسير نتائجهم في ضوء أحد الاتجاهين دون الآخر. ومما يُعاب على الاتجاه الأول الذي ينادي بالمساواة بين المتعلمين، وخاصة في الميدان التعليمي، أن الواقع الفعلي لا يؤكد ذلك، حيث إن التربية والتعليم تعملان على تحقيق النمو في شخصية المتعلمين، وحيث إن الشخصيات المختلفة بين المتعلمين ليست متساوية في صفاتها المتعددة، سواء كانت من الصفات الجسمية أو الحركية أو الحسية والعقلية المعرفية أو الانفعالية أو الاجتماعية.

ويُعاب على الاتجاه الثاني، الذي يؤكد أن الفروق الفردية تبدأ ببدء تكوين الفرد في أثناء الحمل وهي بذلك وراثية، ما قد يجعل من هذه الفروق بالنسبة إلى مختلف الأفراد امتيازات طبقية، وتفوق أجناس أخرى أو سلالة على سلالة أخرى وفقًا لتميز وتفوق أفراد على غيرهم، ومن ثم يكون هذا التفريق مدعاة للتمييز بين أقوام أو طبقات وإتاحة الفرص أمام المتفوقين دون غيرهم من الأفراد العاديين أو غير العاديين.

ونخلص إلى أن الفروق الفردية هي نتاج التفاعل بين عوامل الوراثة والبيئة، كما أثبتت نتائج كثير من الدراسات.

openkandil.com

نتيجة لذلك علينا أن نؤكد أن الأفراد في الواقع غير متساوين في الخصائص البيولوچية والنفسية والعقلية وفي بنية وتركيب شخصياتهم بصفة عامة، وذلك نحتاج معه إلى توجيه العناية لكل فرد حسب كفاءته من حيث هذه الخصائص، ويجب في ذات الوقت أن نعدّ الأفراد متساوين من حيث انتماؤهم إلى المجتمع الإنساني، وبذلك يجب أن نوفر لهم أكبر قدر من الفرص المتكافئة.

ماهية الفروق الفردية:

يُقصد بالفروق الفردية اختلاف كل فرد عن الآخر في الخصائص أي السمات والمميزات النفسية والجسمية والحركية والحسية والعقلية المعرفية والانفعالية والاجتماعية.

وعلى الرغم من كثرة تعداد البشر في البلاد المختلفة، فإننا لا نجد شخصين متماثلين تمامًا، وكل فرد يُعدّ حالة فريدة لا مثيل لها تتفرد بالتركيب الجسمي والنفسي والعقلي، وغير ذلك من خصائص بنية الشخصية. ويُعدّ ذلك من أهم المميزات الخاصة بالبشر، والتفاوت الكبير في شخصيات الأفراد من حيث مستوى الذكاء ومن حيث القدرات الجسمية والنفسية. الجسمية كقوة البناء الجسدي وقوة الذراعين وقوة الساقين وقوة الظهر والصحة بوجه عام، والعقلية مثل الذكاء والاستعدادات المختلفة والقدرات والميول العقلية والانفعالية، مثل الجوانب العاطفية والوجدانية والميول والاتجاهات الاجتماعية التي تضم الجوانب الخُلقية والدينية والاجتماعية. كل هذه الاختلافات تقابلها اختلافات معادلة لها من الأعمال التي تتطلبها الحياة بوجه عام، وهناك من الأعمال ما يتصف بالابتكارية والتجديد Creativity وهذه يصلح لها أصحاب الذكاء المرتفع، بينما هناك أعمال نمطية Stylic رتيبة للغاية لا تحتاج إلى قدر عالٍ من الذكاء، بل إلى قدر أقل من الذكاء المتوسط كأعمال النظافة مثلًا، وهذه لا تحتاج إلى أفراد مستوى ذكائهم مرتفع. ذلك لأن مثل هذا العمل إذا وضع فيه شخص ذكي شعر بتفاهة العمل وضآلته بالنسبة إلى قدراته، وسبب له هذا العمل متاعب نفسية كثيرة واضطرابات في جو العمل.

openkanal.com

وإن هناك من الأعمال ما يتطلب قدرًا متوسطًا من الذكاء، مثل الأعمال المصلحية العادية التي يقوم بها الموظف العادي، فإذا لم يكن الاختيار بهذه الأعمال سليمًا، وقمنا باختيار شخص غير مناسب كأن يكون مختلفًا من الناحية العقلية ارتبك في عمله، ووقع في أخطاء كثيرة، وأصيب بالإحباط واليأس، وقد يؤثر ذلك في حياته خارج العمل، وإن مثل هذه الأعمال لا يُناسبها الشخص الذكي؛ لأنها تسبب له الملل والضيق.

ومعنى هذا أن الاختيار السليم للأعمال، يتطلب وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

الفروق الفردية في السمات المختلفة:

عند تحديد الصفة أو السمة التي نريد إيضاح الفروق الفردية فيها بين الأفراد، سواء كانت هذه الصفات عقلية أم جسمية أم غير ذلك من الصفات والخصائص الإنسانية، نقيس مدى تفوق أو ضعف الفرد في هذه الصفة، وعندما نُحدد مستويات الأفراد في صفة معينة، فإننا نكون بذلك قد قمنا بتحديد الفروق الفردية القائمة بالنسبة إلى تلك الصفة. وعند حساب عدد الأفراد المتفوقين في صفة معينة، وعدد الأفراد المتوسطين، وعدد الأفراد الضعاف، فإنه يمكن الكشف عن أهم خاصية من خواص الفروق، حيث نجد أن المستوى المتوسط هو أكثر هذه المستويات من ناحية عدد الأفراد.

وإن مستوى عدد الأفراد المتفوقين هو أقلها في الأفراد، وأيضًا مستوى عدد الأفراد الضعاف.

ولذلك تُعدّ الفروق الفردية في علم النفس، الدراسة العلمية لمدى الاختلاف بين الناس في الصفات المتشابهة.

وعام ١٨٧٩، أنشأ فونت أول معمل لعلم النفس، مستفيدًا بدراسات وأبحاث وأدوات علماء الفسيولوجيا، محاولًا دراسة بنية العقل البشري. إلا أنه لم يهتم اهتمامًا مباشرًا بدراسة الفروق الفردية، واعتبرها نوعًا من الخطأ يرجع إلى المصادفة. أي إن فونت اهتم بدراسة أوجه التشابه بين الأفراد أكثر من اهتمامه بدراسة الفروق الفردية بينهم.

openkanal.com

كان كاتل من تلاميذ فونت، إلا أنه اهتم بدراسة الفروق الفردية مستخدمًا بعض الأساليب التجريبية، وكانت رسالته للدكتوراه عن الفروق الفردية في زمن الرجع. ونما اهتمامه بدراسة الفروق الفردية باتصاله بالعالم فرنسيس جالتون الذي استخدم، وللمرة الأولى، كثيرًا من الأساليب الإحصائية لدراسة الفروق الفردية. واستخدم أساليب مختلفة في دراسة الفروق بين الأفراد في السمات الجسمية الفيزيقية. وكان أول من استخدم مصطلح (الاختبارات العقلية)، واستخدمها في دراسته للفروق الفردية. أعقب ذلك ظهور كثير من الأدوات والاختبارات، ونمو الأساليب الإحصائية المستخدمة في دراسة الفروق الفردية، ما جعل دراسة الفروق الفردية أكثر علمية ودقة.

الفروق الفردية:

- التعريف
- نظرة تاريخية
- اكتشافها
- العوامل المؤثرة فيها
- ماهيتها
- الفروق الفردية في السمات المختلفة.

أهمية دراسة الفروق الفردية:

لدراسة الفروق الفردية أهمية كبيرة في مجالات متعددة، منها:

١- التعلم والتعليم:

إن التلاميذ يختلفون في قدراتهم واستعداداتهم وميولهم، وهذه الاختلافات تؤثر في صلاحية كل منهم لنوع الدراسة. فليس كل تلميذ بقادر على دراسة مواد التعليم الصناعي أو التجاري بالدرجة عينها من المهارة والكفاية؛ لأن كل نوع من أنواع الدراسة والتعلم يحتاج إلى قدرات وميول معينة.

obeikandl.com

كذلك، فإن اختلاف قدرات التلاميذ واستعداداتهم وميولهم، يؤثر في مدى استفادة كل منهم مما يُقدم له من مادة تعليمية، وفي مدى حاجته إلى الرعاية. فالتلميذ المتخلف عقليًّا يحتاج إلى مواد دراسية تختلف في نوعها وكمها عما يحتاج إليه التلميذ متوسط الذكاء أو مرتفع الذكاء. وإن الطريقة الملائمة لتعليم المتخلف عقليًّا تختلف عن الطريقة الملائمة لتعليم التلميذ متوسط الذكاء أو مرتفع الذكاء، وهذا بدوره يؤثر في درجة استفادة كل منهم مما يُقدم له.

٢- الاقتصاد:

كما تختلف الدراسات فيما تحتاج إليه من قدرات وميول لكي ينجح الدارس فيها، تختلف المهن فيما تحتاج إليه من قدرات وميول ومهارات واستعدادات. ونظرًا إلى وجود فروق فردية في جوانب الشخصية، فإنه يمكن توجيه الفرد إلى المهنة أو الدراسة التي تلائمه، فإذا ما التحق بهذه المهنة أو الدراسة، حقق الاستفادة الكاملة منها، ونجح فيها، ونقصت مدة تدريبه، وقل احتمال تركه للعمل، ولهذا مردوده الاقتصادي على الفرد والمجتمع.

٣- الصحة النفسية:

إن توجيه الفرد إلى الدراسة أو المهنة التي تلائمه، وإعداده للالتحاق بها، وتدريبه عليها، وتحقيقه للنجاح فيها، يساعده على أن يحقق ذاته فيها، ويتوافق معها ومع زملائه وأصدقائه وأسرته، ما يحقق له الصحة النفسية والسعادة والرضا. كذلك، فإن مراعاة ما يحتاج إليه التلميذ المتخلف عقليًّا من حيث كم ونوع وطريقة تقديم المادة الدراسية، يشعره بالنجاح، ويحقق له الصحة النفسية.

٤- دراسة التغيرات النمائية:

يمكن أن تُستخدم الفروق الفردية في تعرُّف التغيرات الحادثة لدى مجموعة من الأفراد، فلو قيست أطوال تلاميذ الصف الأول الابتدائي، ثم قيست أطوالهم في الصف

obeikandl.com

السادس، لوجدنا اختلافًا في متوسط وتشتت الأطوال في الصف السادس عما كانت عليه في الصف الأول، ما يكون إشارة إلى التغيرات النمائية التي حدثت لديهم.

أنواع الفروق:

يميل الناس إلى تصنيف الظواهر المختلفة، بحيث يكونون فئات مختلفة من الأشياء والأفعال. ولا يقتصر أمر التصنيف عند هذا الحد، بل يُصنفون بعضهم بعضًا باستخدام السمات المختلفة. فهذا طويل وذلك قصير، وهذا ذكي وذلك غبي، وهذا مجتهد وذلك متخلف. وهذه الطريقة في التصنيف إنما توحي بأن الفروق تكون في النوع، ولكن الواقع أن الفروق نوعان:

١- فروق في النوع:

وهي الفروق التي لا يوجد بينها وحدة قياس مشتركة. فالذكاء يختلف عن الطول، والطول يختلف عن الوزن، والوزن يختلف عن التحصيل، لأنه لا توجد وحدة قياس مشتركة. فإذا كان الطول يُقاس بالسنتيمترات، فإن الوزن يُقاس بالجرامات، وينطبق المعنى نفسه على بقية الأنواع السابقة.

والفروق في النوع لا تقتصر على السمات الجسمية فقط، بل تشمل السمات النفسية، فالذكاء يختلف عن الميل في النوع، واستطرادًا لا يمكن مقارنة ذكاء شخص بميل آخر؛ لأنه لا توجد وحدة قياس مشتركة.

٢- فروق في الدرجة:

وهي الفروق التي يوجد بينها وحدة قياس مشتركة، فالفرق بين الطول والقِصر فرق في الدرجة؛ لأن وحدة قياسهما هي السنتيمترات، والفرق بين الثقيل والخفيف فرق في الدرجة؛ لأن وحدة قياسهما هي الجرامات، والفرق بين الحرارة والبرودة فرق في الدرجة؛ لأن وحدة قياسهما هي مقدار ارتفاع عمود الزئبق. وينطبق المعنى عينه على

obeikandi.com

الـذكاء والميول والقدرات والاسـتعدادات والاتجاهات، إذ إن الفـروق بين الأفراد تكون فروقًا في الدرجة.

تظهر الفروق في الدرجة على بعد واحد متصل (أو خط مستقيم) لا يمكن تجزئته إلى أجزاء منفصـلة بينها فجوات أو ثغرات. فالذكاء بُعد متصـل يمتد من أقل درجة إلى أقصى درجة داخل عينة معينة. وكذلك الميل بُعد متصل يمتد من أقل درجة إلى أقصى درجـة داخـل عينة معينة. وعلى هذا البُعد يتوزع جميع أفـراد العينة، بحيث تكون الأقلية درجة ذكائها دون المتوسـط، وأقلية أخرى درجة ذكائها مرتفعة على المتوسط، وغالبية درجة ذكائها متوسـطة. أي تتوزع العينة اعتداليًّا على هذا البُعد المتصـل توزيعًا كميًّا لا كيفيًّا.

مظاهر الفروق الفردية:

١- الفروق بين الأفراد:

يختلف الأفراد في مقدار نصـيب كل منهم من السـمة أو الصفة المقيسة، فداخل الفصـل الواحد يوجـد أطفال أذكيـاء، وآخرون متوسـطو الذكاء، ومجموعـة ثالثة دون المتوسـط. وداخل الفصل نفسـه يوجد أطفال مسـيطرون، وأطفال متوسطو السيطرة، وأطفـال يميلون إلى الخضـوع بدرجـة كبيرة. وداخل الفصـل عينه يوجـد أطفال طوال القامة، وآخرون قصار القامة، ومجموعة ثالثة متوسطو الطول.

ويختلف الأفراد في درجة أدائهم للأعمال المختلفة. فداخل الفصل الواحد يتفاوت الأطفال في درجة قدرتهم على المناقشـة أو حل المسـائل الحسـابية أو الأسئلة اللغوية، أو نطقهـم لحـروف اللغـة الأجنبية، أو رسـمهم للمناظر الطبيعية. ويختلف المدرسـون في درجة توضـيح أفكارهم للتلاميذ وسـرعتهم في الكلام، ودقة تصـحيحهم للأعمال التحريرية.

وثمـة مجال آخر للفروق بين الأفراد، هو الفـروق في تجهيز المعلومات. فلقد تبين وجـود فـروق بين الأفـراد في حاجتهم إلـى كميات متفاوتة مـن المعلومـات، وإلى أنواع

مختلفة منها، وإلى مستويات متفاوتة التعقيد من تلك المعلومات، وتفاوت قدرة كل منهم على ترميز المعلومات، أي تحويلها إلى رموز، وعلى سرعة أداء العمليات المعرفية المستخدمة في معالجة المعلومات.

٢- الفروق داخل الفرد الواحد:

(أ) إن مستويات القدرات أو درجات السمات لدى الفرد الواحد ليست متساوية، فقدرة الفرد اللغوية ليست كقدرته الموسيقية أو كدرجة انطوائه أو درجة اتزانه الانفعالية. أي إنه لا توجد علاقة إيجابية بين السمات داخل الفرد الواحد، بمعنى أنه لا ترتفع قدرته اللغوية، وبالدرجة عينها قدرته الموسيقية، وبالمعدل نفسه درجة انطوائه أو سيطرته.

(ب) في أثناء النمو يتعرض الفرد لتغيرات جسمية وعقلية ووجدانية، بحيث يزداد طوله ووزنه وذكاؤه وميوله، أي إنه توجد فروق بين الفرد ونفسه في مراحل نموه المختلفة.

للفروق داخل الفرد الواحد أهمية كبيرة، إذ تجعل له أسلوبه المتميز المختلف عن غيره من الأفراد، وتُبين أسباب تفوق الفرد في بعض الدراسات أو المهن دون غيرها، وذلك تبعًا لدرجة ما لديه من قدرات لازمة لهذه الدراسات أو المهن. فمرتفع القدرة اللغوية يتفوق في دراسة اللغات ويصلح للعمل مدرسًا للغات أو خطيبًا أو مذيعًا. وإذا كانت قدرته الرياضية منخفضة، فإنه لن يتفوق في دراسة الرياضيات، ولن ينجح في المهن التي تحتاج إلى استخدام الأعداد والأشكال الهندسية بكثرة.

٣- الفروق بين الجماعات:

من أهم الفروق بين الجماعات:

(أ) الفروق بين الجنسين في بعض الخصائص الجسمية، مثل حجم الجسم والقوة البدنية، والخصائص العقلية، كالذكاء العام والقدرات العقلية، والخصائص الوجدانية، كالعدوانية والسيطرة والثقة بالنفس.

obeikandl.com

(ب) الفروق بين الأعمار، كما تظهر في تغير الخصائص النمائية عبر الأعمار المختلفة، كالنمو الجسمي والعقلي والوجداني والاجتماعي والخُلقي.

(ج) الفروق بين الأجناس والسلالات في بعض الخصائص الجسمية، مثل لون الجلد والتحمل، والخصائص المعرفية، كالذكاء العام.

(د) الفروق بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية وانعكاساتها على خصائص الأفراد وأساليب تنشئتهم.

ولما كانت الفروق الفردية نتاجًا لعوامل الوراثة والبيئة وتفاعلهما، فإن تلك الفروق ليست مطلقة أو ثابتة ثباتًا مطلقًا، والدليل على ذلك تحسن بعض السمات عند انتقال الأفراد من بيئة إلى أخرى.

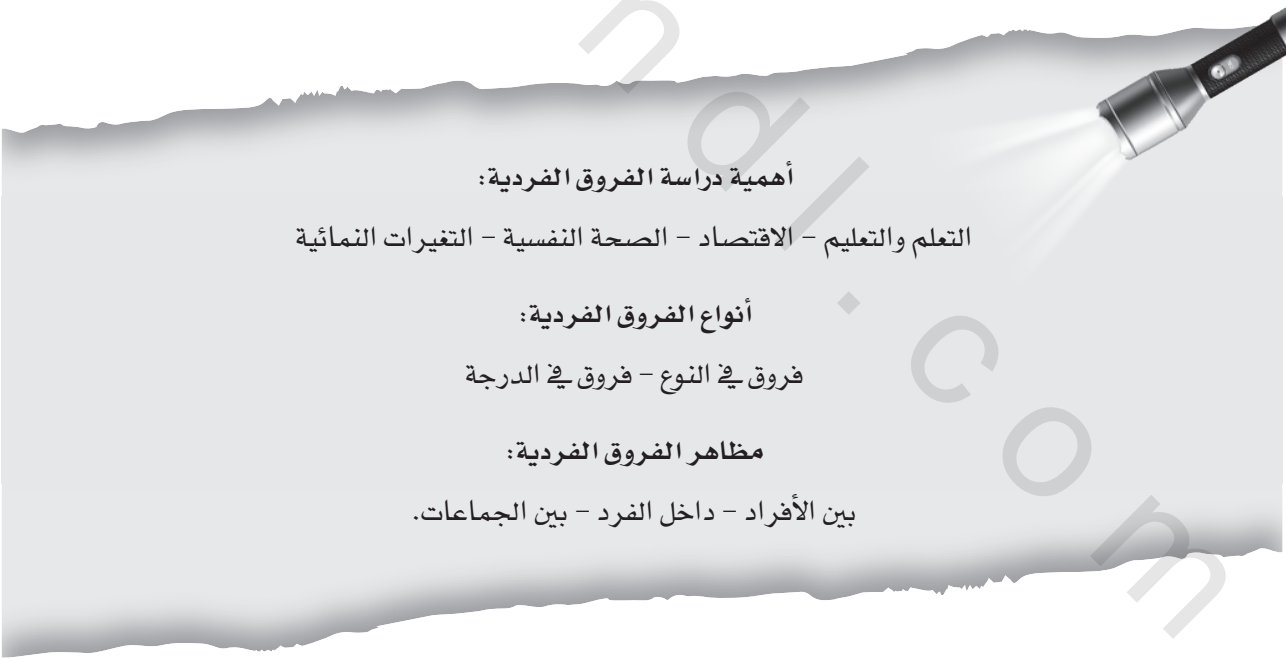

أهمية دراسة الفروق الفردية:

التعلم والتعليم - الاقتصاد - الصحة النفسية - التغيرات النمائية

أنواع الفروق الفردية:

فروق في النوع - فروق في الدرجة

مظاهر الفروق الفردية:

بين الأفراد - داخل الفرد - بين الجماعات.

obeikandl.com

تلخيص:

١- مظاهر الاختلاف والتباين بين البشر على جانب كبير من الأهمية من حيث تفرد الإنسان واختلافه عن الآخرين في جوانب متعددة.

٢- هناك اتجاهان في طبيعة الفروق الفردية، وهما:

- إن البيئة والمجتمع بما فيهما من إمكانيات هما سبب ظهور الفروق الفردية.

- إن الفروق بين الأفراد مرجعها خصائص بيولوچية (وراثية).

٣- يُقصد بالفروق الفردية اختلاف كل فرد عن الآخرين في خصائص جسمية ونفسية.

٤- تُمثل الفروق الفردية في علم النفس الدراسة العلمية لدى الاختلاف بين الناس في الصفات المتشابهة.

٥- اكتشاف الفروق الفردية تم عند دقة ملاحظة رصد النجوم في المراصد الفلكية، حيث تبين وجود ما يعرف بالمعادلة الشخصية بين الملاحظين في المراصد الفلكية.

أسئلة وتمارين:

١- هناك اتجاهات نحو طبيعة الفروق الفردية. اشرح.

٢- وضح القصد بالفروق الفردية.

٣- كيف تم اكتشاف الفروق الفردية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس عشر

الفروق الفردية بين المتعلمين

- **الأهداف:**

(١) أن يتعرف المتعلم إلى الفروق الفردية بين المتعلمين.

(٢) أن يعدد المتعلم السمات المختلفة للفروق الفردية.

(٣) أن يفسر المتعلم التوزيع الاعتدالي للفروق الفردية.

(٤) أن يقدر المتعلم جهود العلماء في اكتشاف الفروق بين المتعلمين من خلال التوزيع الاعتدالي.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس عشر

الفروق الفردية بين المتعلمين

تمهيد:

في الكشف عن الفروق الفردية القائمة بين الأفراد، يمكن الوصول إلى تباين الصفات أي الفروق بين مختلف الأفراد، من الخصائص الجسمية والعقلية والنفسية إلى غير ذلك من السمات التي يتميز بها البشر.

وعند تحديد الصفات يمكن قياس مدى تفوق أو ضعف الفرد في هذه الصفة، ومن ثم عند مقارنته بغيره، يمكن أن نحدد الفروق الفردية القائمة بالنسبة إلى صفة معينة. وعند حساب عدد المتفوقين بين الأفراد عامة والمتعلمين خاصة في صفة من الصفات البشرية، وعدد المتوسطين، وعدد الصفات، فإنه يمكن الكشف عن أهم خاصية من خواص الفروق الفردية، عندما يتبين أن عدد المتوسطين هم أكثر عدد المستويات من الأفراد، وأن مستوى التفوق هم أقل عددًا من الأفراد، وإن مستوى الضعاف هم أقل عددًا من المستوى المتوسط، وهذا ما سيتم إيضاحه في التوزيع الاعتدالي للفروق الفردية، وفي هذا ما يؤكد أن الفروق الفردية هي انحرافات الأفراد، عند بُعدهم عن المتوسط لأفراد الجماعة في الصفات المختلفة.

مظاهر الفروق الفردية بين المتعلمين:

يعنينا في العملية التعليمية، بيان الفروق الفردية بين المتعلمين، وتهتم مباحث ومجالات علم النفس، وفق ما سبق الإشارة إليه ببنية الشخصية عند الأفراد عامة، وعند المتعلمين خاصة. والشخصية هي نقطة البدء في الدراسات النفسية، وهي في ذات الوقت تمثل الهدف الذي ينبغي للدارسين في علم النفس الوصول إليه.

obeikandl.com

وبدء دراسة الشخصية يعتمد على النشاط الذي يتمثل فيما يقوم به الفرد من أعمال، وما يصدر عنه من استجابات لغوية أو حركية.

ولذلك تعددت مجالات الدراسة في فروع علم النفس، حيث تتفرع، وتتعدد نتيجة لتنوع وتعدد المجالات التي تزاول فيها الشخصية نشاطها، وتمتد الفروق الفردية لتشمل جميع جوانب النشاط الذي يصدر عن الشخصية بصفة عامة وفي جوانب النشاط عند المتعلمين بصفة خاصة.

وتُعرف الشخصية بأنها النظام المتكامل من السمات الجسمية والنفسية الثابتة نسبيًّا، التي تُميز الفرد من غيره والتي تُحدد أساليب نشاطه وتفاعله مع البيئة الخارجية، المادية والاجتماعية. أو تعرف بأنها النمط الذي يميز الشخص عن غيره.

ودراسة الشخصية يمكن تناولها من زوايا وجوانب مختلفة، يتم تحليلها إلى مجموعة من الصفات أو السمات. وهذه السمات هي تجريدات أو أوصاف نصف بها سلوك الفرد، فالسمة Trait كما تعرف في علم النفس هي طريقة في السلوك متميزة وثابتة نسبيًّا يختلف فيها الشخص عن الآخرين.

ويختلف الناس في نواحٍ كثيرة ومتعددة، حيث لا يمكن حصر الاختلاف والتباين إلا أنه بالبحث الإحصائي الموضوعي، تبين أن الفروق بين الأفراد تميل لأن ترتبط فيما بينها، بشكل يجعل من الممكن تحديد أبعاد أو سمات أكثر عمومية. ويمكن تصنيف هذه السمات إلى المجموعتين الآتيتين:

أولًا: مجموعة الصفات الجسمية:

هي التي تتعلق بالنمو الجسمي العام والصحة العامة، والتي يُميز فيها بين السمات العامة مثل الصحة العامة، والصفات الخاصة مثل الطول والوزن، أو بعض الإعاقات الجسمية، وبعض الخصائص الحسية والحركية.

obeikandl.com

ثانيًا: مجموعة صفات التنظيم النفسي في الشخصية:

هي التي تهتم بدراسة الفروق الفردية. والتنظيم النفسي يمثل النظام المتكامل من السمات النفسية التي تعمل على:

(أ) تفرد الفرد في تفاعله مع مواقف الحياة التي تحدد أهدافه.

(ب) تُميز سلوكه في تكيفه وتوافقه مع الظروف المادية والاجتماعية.

(جـ) يُحدد أساليب تعامله مع الناس المحيطين به، أو أسلوب حياته.

وينقسم التنظيم النفسي بدوره إلى بعدين أو تنظيمين أساسيين:

(أ) التنظيم العقلي المعرفي:

الذي يتضمن القدرة العقلية العامة أي الذكاء، والقدرات والاستعدادات الخاصة بالتحصيل، والمهارات العقلية.

(ب) التنظيم الانفعالي:

أي المزاجي والعاطفي، الذي يشتمل على الانفعالات والقيم والعواطف والميول والاتجاهات.

والفروق الفردية بين الأفراد، يمكن تمييزها في الجوانب الآتية التي سبق تحديدها:

١- الخصائص الجسمية التي يمكن تحديد الفروق بين الأفراد فيها من حيث:

(أ) الصحة العامة.

(ب) المظهر وأبعاد الجسم (الطول، القصر، النحافة، البدانة، لون البشرة، ملامح الوجه).

(جـ) نواحي القوة والعاهات ونواحي النقص والعجز.

(د) إفرازات الغدد الصماء وغير الصماء ووظائف الأعضاء.

(هـ) النشاط الحسي والحركي.

obeikandi.com

٢- الخصائص النفسية: التي يمكن تمييزها وتحديد الفروق الفردية بين الأفراد، من حيث:

(أ) التنظيم العقلي المعرفي:

أي الاستعدادات والقدرات العقلية، التي تشتمل على:

- القدرة العقلية العامة (الذكاء العام).
- القدرة العقلية الخاصة، كالقدرة الرياضية والعددية والميكانيكية واللغوية، والفنية والابتكارية.
- العمليات والأنشطة العقلية: كالتفكير والإدراك والفهم والحفظ... إلخ.

(ب) المستوى التحصيلي، ويشتمل على:

- المستوى التحصيلي الدراسي.
- مستوى المعلومات العامة.
- عمق الخبرات السابقة.

ثانيًا: السمات الشخصية (التنظيم الانفعالي المزاجي):

(أ) الانفعالية العامة والثبات الانفعالي.

(ب) السمات الخاصة، كالانطواء والانبساط والخضوع والسيطرة والعدوان والمسالمة.

(جـ) الاتجاهات والميول والعواطف والانفعالات والقيم.

طبيعة الفروق الفردية:

لكي نوضح طبيعة الفروق الفردية، علينا أن نجيب عن السؤال الآتي:

هل الفروق الفردية فروق كمية أم فروق فرعية؟

(أ) فإذا افترضنا أن الفروق الفردية كمية، كان معنى ذلك أننا نمتلك جميعًا، جميع

obeikandl.com

الصفات والسمات النفسية والجسمية، وتختص إحدى هذه السمات عند فرد من الأفراد، ويُصبح الفرق بين فرد وآخر، هو في درجة امتلاكه لكل سمة من هذه السمات.

(ب) أما إذا افترضنا أن طبيعة الفروق الفردية هي طبيعة نوعية، كان معنى هذا أن كل فرد منا يمتلك سمات لا يمتلكها غيره، وأن كل حالة من حالات الفرد، تُعدّ حالة فريدة من نوع السمات التي تمتلكها.

ولكي نختار بين هذين الاحتمالين نبحث الوضع في سمات نفسية عدة. فمن حيث الذكاء العام مثلًا، يختلف الأفراد بعضهم عن بعض في درجة امتلاكهم للذكاء العام، ولا نجد مطلقًا فردًا منعدم الذكاء تمامًا، فحتى أدنى مراتب الضعف العقلي نجد أن الفرد قادر على القيام ببعض الأعمال البسيطة، فهو يستطيع أن يفتح شباك حجرته، ويغلق بابها ويأكل، وهذه الأعمال مهما بلغت درجة سهولتها، فإنها ما زالت تحتاج إلى نسبة بسيطة من الذكاء. ولنأخذ مثالًا آخر عن قدرة خاصة، كالقدرة الحسابية، حيث نجد أن الأفراد يختلفون في درجة كفاءتهم للقيام ببعض الأعمال الحسابية، وحتى الأفراد الذين نصفهم بأنهم ليسوا على مستوى عالٍ من حيث امتلاكهم لهذه القدرة، نجد أنهم يستطيعون القيام ببعض الأعمال، فهم يستطيعون جمع بعض الأعداد وطرح بعضها الآخر، والقيام ببعض العمليات الحسابية البسيطة. ومعنى ذلك أن لديهم قدرًا بسيطًا من هذه القدرة الحسابية.

أما من حيث السمات الانفعالية، فإننا نجد أن لكل سمة طرفين متقابلين، وتسمى السمة تبعًا لهذين الطرفين، فالانطواء والانبساط يكونان سمة واحدة، والميل للعدوان والميل للمسالمة كذلك يكونان سمة واحدة.

فلو تصورنا طرفي السمة على أنهما نقطتان متباعدتان، وبين هذين النقطتين عدد لا نهائي من النقط يكونان مقياسًا متصلًا، ويُمثل كل فرد منا نقطة من هذه النقط

obeikandi.com

اللانهائية العدد، فإذا تصورنا سمة الانطواء والانبساط على النحو الآتي:

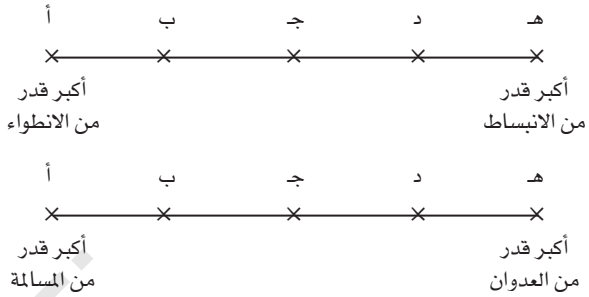

فنقول من هذا الرسم: إن الشخص (أ) يغلب عليه الانطواء أكثر من الانبساط والشخص (ب) متعادل من حيث الطرفان، أما الشخص (جـ)، (د) فهما قريبان من الانبساط، أما الشخص (هـ) فهو يغلب عليه الانبساط.

وفي الوصف التقريبي نقول: إن (أ) منطوٍ وكلاً من (جـ، د) منبسطان، وأما الشخص (ب) فهو عادي، ولكن هذا الوصف غير علمي. وفي المثال الثاني نقول: إن (أ) يتمتع بأكبر قدر ممكن من المسالمة وعدم الاعتداء على الآخرين، بينما الفرد (هـ) في سلوكه عدوانية بقدر عالٍ.

والثابت علميًّا أن كل فرد يقترب، بمقدار ما يملك من خلاله أحد طرفي السمة، وأنه يمتلك الطرفين بدرجات متفاوتة. حتى السمات الانفعالية والسمات العضوية للذكورة والأنوثة، موجودة في كل فرد ذكرًا كان أم أنثى بدرجات مختلفة، وليس هناك شخص يمتلك أحد الطرفين في أي سمة امتلاكًا نقيًّا ١٠٠٪.

نخرج من هذا كله بأن الفروق الفردية إنما هي فروق كمية Quantitive وليست نوعية Qualative ولا ينطبق هذا فقط على الصفات النفسية، بل ينطبق أيضًا على الصفات (السمات) الجسمية وغيرها من الصفات البشرية.

obeikandi.com

التوزيع الاعتدالي للفروق الفردية Normal Distribution

ذكرنا أن الفروق الفردية كمية، وليست نوعية. ومعنى هذا أن الأفراد يختلفون في درجة امتلاكهم لكل سمة من السمات من ناحية الكم، وليس من ناحية النوع. والاختلاف في الكم يسير بنموذج واحد تقريبًا في جميع السمات الجسمية والنفسية عند البشر وأغلب الأفراد يمتلكون السمة بدرجة متوسطة وأقل الأفراد يمتلكون السمة بدرجة قليلة أو كثيرة، وبذلك نحصل على توزيع له شكل ثابت يُشبه الجرس أو الناقوس، ويسمى ذلك من الناحية الإحصائية «التوزيع الاعتدالي». ففي الرسم الآتي، وهو يمثل توزيع الذكاء في مجموعة كبيرة ممثلة من الأفراد، نجد أن الأشخاص الذين يتمتعون بذكاء عادي يبلغون الغالبية العظمى، وكلما قل ذكاء الأفراد قل عددهم أيضًا، حتى نجد أن فئة ضعاف العقول يُمثلون مجموعة نادرة في المجتمع.

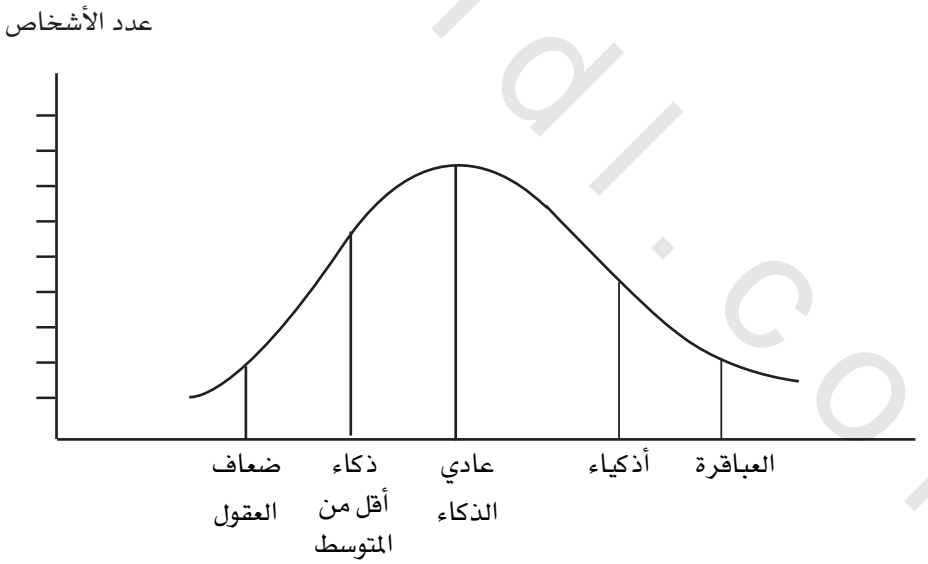

وبالمثل نجد أنه كلما ارتفع الذكاء عن المتوسط، قل عدد الأفراد تدريجيًّا، حتى نصل إلى فئة العباقرة، حيث نجد أنهم يمثلون فئة نادرة في المجتمع.

obeikandl.com

ونلاحظ في هذا التوزيع أنه متماثل تمامًا، بحيث نجد أن النصف الأيمن يكاد يتماثل في العدد مع النصف الأيسر تمامًا.

وإذا بحثنا في السمات العضوية، فإننا نجد أنها موزعة أيضًا على هذا النحو، ففي حالة طول القامة مثلًا نجد أن العاديين من طوال القامة هم أكثر الأفراد في المجتمع، بينما نجد أن الأقزام وطوال القامة بشكل غير عادي، عددهم نادر في المجتمع.

بالنسبة إلى الاختبارات النفسية نستطيع تطبيق التوزيع الاعتدالي في عملية التقنين، فإذا كان لدينا أحد الاختبارات النفسية، وطبقناه على مجموعة من الأفراد في أثناء عملية التقنين، بحيث تكون العينة تمثل المجتمع الذي نعده من أجله، وحصلنا على توزيع قريب من هذا التوزيع الاعتدالي، دل ذلك على أن هذا الاختبار مناسب للمجموعة التي أُعد من أجلها.

من هذا كله يجب أن يكون المعلم على معرفة تامة بـ:

١- مظاهر الفروق الفردية بين المتعلمين.

٢- الفروق الفردية بين المتعلمين.

٣- طبيعة الفروق الفردية من حيث كونها كمية، وليست نوعية.

٤- أن التوزيع الذي تكون عليه الفروق الفردية هو التوزيع الاعتدالي، بمعنى أن أكبر قدر ممكن من المتعلمين يكون كم السمات هو ما يقترب من الوسط، وأن الأطراف في هذه السمات (بمعنى امتلاك السمة بكم عالٍ أو أقل من المتوسط) لفئات أقل عددًا من الفئات التي تقع في منطقة الوسط.

تتضمن مظاهر الفروق الفردية بين المتعلمين الآتي:

(١) مظاهر الفروق الفردية. (٢) سمات الفروق الفردية بين المتعلمين.

(٣) طبيعة الفروق الفردية. (٤) التوزيع الاعتدالي للفروق الفردية.

obeikandi.com

تلخيص:

١- تظهر الفروق الفردية في ثلاثة مظاهر: تتمثل في:

- مدارج العمر المتعاقبة.
- الفروق الفردية في الأداء.
- فروق بين الجماعات.

٢- الفروق الفردية تظهر في الفروق بين الشخصية من حيث اعتبارها نظامًا متكاملًا في السمات الجسمية والنفسية الثابتة نسبيًّا التي تميز فردًا عن غيره.

٣- السمات التي تتباين فيها الشخصيات تمثل: صفات جسمية - صفات التنظيم النفسي (عقلي معرفي - انفعالي).

٤- طبيعة الفروق الفردية، فروق كمية وليست نوعية، وينطبق ذلك على الصفات النفسية والجسمية والبشرية جميعها.

٥- يتم توزيع الفروق الفردية بما يُعرف بالتوزيع الاعتدالي للفروق الفردية والتمثيل البياني لهذا التوزيع يُشبه الجرس أو الناقوس.

أسئلة وتمارين:

١- حدد ووضح المظاهر الخاصة بالفروق الفردية.

٢- يختلف الناس في سمات متعددة. اشرح.

٣- الفروق الفردية كمية، وليست نوعية. اشرح.

٤- اشرح التوزيع الاعتدالي للفروق الفردية.

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل السادس عشر

الفروق الفردية في ضوء الهدي الإسلامي

- **الأهداف:**

(١) أن يتعرف القارئ إلى الفروق الفردية في هدي كتاب الله (القرآن الكريم).

(٢) أن يتعرف القارئ إلى الفروق الفردية في الهدي النبوي الشريف.

(٣) أن يقدر القارئ عظمة الخالق في خلقه للفروق الفردية.

(٤) أن يقدر عظمة النبي الأعظم ﷺ في تقديره للفروق الفردية بين الصحابة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس عشر

الفروق الفردية في ضوء الهدي الإسلامي

تمهيد:

أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى مفهوم الفروق الفردية في كثير من المواضع على النحو الآتي:

١- فروق في النوع:

فخصائص الذكور تختلف عن خصائص الإناث، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ (آل عمران: ٣٦).

٢- فروق جسمية:

كاختلاف اللون والجسد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ (فاطر: ٢٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٧)، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّى أحدُكم بالنَّاس فليُخفِّف، فإنَّ فيهم الضَّعيفَ والسَّقيمَ والكبيرَ، وإذا صلَّى أحدُكم لنفسِه فليُطوِّل ما شاءَ**»(١).

٣- فروق عقلية:

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:٢٦٩).

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٧٠٣) ومسلم (رقم ٤٦٧).

obeikandl.com

وعَنْ ابنَ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)[١]. فالرسول ﷺ ينهى عن مخاطبة الناس بما لا تحتمله عقولهم.

وقد ذكر عن عائشة ﷺ أنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم»[٢].

وعَنِ الأَسْوَدِ ﷺ قَالَ قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا، فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا عَائِشَةُ لَوْلا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ -قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ-: بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ)[٣].

وقد ترك الرسول ﷺ أمرًا عظيمًا كهذا خشية أن تقصر أفهامهم عن إدراك الأمر على وجهه. (وَقَالَ عَلِيٌّ: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّه وَرَسُولُهُ. قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ بِذَلِكَ)[٤].

٤- فروق لغوية:

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾. (الروم:٢٢).

٥- فروق اجتماعية:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾. (الزخرف:٣٢).

٦- فروق أخلاقية:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ﴾. (آل عمران:٧٥).

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه في آخر باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (ص٢٣) طبعة بيت الأفكار الدولية.
(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (ص٢٠).
(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٢٦) ومسلم (رقم ١٣٣٣).
(٤) أخرجه البخاري (رقم ١٢٧).

٧- فروق في الأهداف والغايات:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾. (الليل:٤).

ولذلك فوجود الفروق الفردية بين الناس أمر طبيعي، وهي تشمل نواحي الشخصية المختلفة: الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية، فكما لا تستغرب اختلاف الأفراد فيما بينهم من ناحية الطول أو الوزن، يجب ألا تستغرب كذلك وجود فروق بينهم في الذكاء أو الميول أو في سمات الشخصية كالانطواء أو الانبساط....إلخ.

وفيما يأتي مفهوم الفروق الفردية في هدي كتاب الله القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم إلى الفروق بين الناس في كثير من المواضع، قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾. (سورة الأنعام: الآية ١٦٥).

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾. (سورة الزخرف: الآية ٣٢).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾. (سورة الروم: الآية ٢٢).

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. (سورة الإسراء: الآية ٢١).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾. (سورة فاطر: الآية ٢٨).

في هذه الآيات إشارة واضحة إلى وجود الفروق الفردية بين الناس، وإن هذه الآيات تتضمن أن هذه الفروق ترجع إلى كل من العوامل الوراثية والبيئية، فقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا

﴿بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ إنما يشمل كل أنواع الفروق بين الناس، سواء كانت وراثية أم مكتسبة، وسواء كانت بدنية أم نفسية أم عقلية، وفي الثروة والممتلكات أو النفوذ.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ إنما يُشير إلى اختلاف الناس في الغنى، وفي العلم والمهنة، بحيث يعمل الفقير للغني بالأجر، ويعمل بعض أصحاب المهن والحرف في خدمة الناس الآخرين بالأجر، وبذلك يتم التعاون وتوزيع العمل بين أفراد المجتمع، ما يكفل سد جميع حاجاتهم، ويهيئ لهم جميع الخدمات اللازمة لهم في معيشتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ إنما يشير إلى أثر كل من العوامل الوراثية والبيئية في الفروق الفردية. فمن الواضح أن اختلاف الألوان إنما يرجع إلى العوامل الوراثية، وأن اختلاف الألسنة واللغات واللهجات بين الناس إنما يرجع إلى العوامل البيئية والاجتماعية والثقافية.

وتوجد فروق بين الناس في العلم والحكمة، ويتضمن ذلك وجود فروق بينهم في القدرات العقلية والذكاء. يُفهم ذلك من مضمون الآيات التي ذكرناها سابقًا، ويُفهم ذلك صراحة من قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾. (سورة يوسف: الآية ٧٦).

قال ابن كثير في تفسير ذلك: قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل[١]. (عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس، فحدث بحديث عجيب، فتعجب رجل، فقال: الحمد لله، فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، والله العليم فوق كل عالم، يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم)[٢].

ولأن الناس مختلفون في استعداداتهم وقدراتهم، وفي ظروفهم الاجتماعية والثقافية وخبراتهم الشخصية، فإننا، لاشك، نتوقع وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾. (سورة الإسراء: الآية ٨٤).

---

(١) تفسير الثعلبي (٢٤٢/٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٠٢/٤) طبعة دار طيبة بالرياض، وتفسير الطبري (١٩٢/١٦).

obeikandl.com

واختلاف الناس في الاستعدادات والقدرات البدنية والعقلية، يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدراتهم على العمل والكسب، وتحصيل العلم، وتحري الحق والعدل، وتختلف تبعًا لذلك واجباتهم ومسؤولياتهم.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾. (سورة البقرة: الآية ٢٨٦).

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾. (سورة المؤمنون: الآية ٦٢).

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴾. (سورة الطلاق: الآية ٧).

ومن الواضح أن إشارة القرآن إلى وجود الفروق الفردية، وإلى أن الفرد لا يُكلف إلا ما في وسعه وطاقته، إنما هو الفكرة الأساسية فيما وصل إليه علم النفس الحديث من الاهتمام بقياس الفروق بين الأفراد في الاستعدادات والقدرات، لتنظيم عملية التعليم، بحيث يوجه كل فرد إلى نوع التعليم الملائم لاستعداداته وقدراته. وهذا هو الهدف من عملية التوجيه التربوي في التربية الحديثة. ويستعين علماء النفس المحدثون كذلك بقياس الفروق الفردية على تحسين عملية التوجيه المهني والاختيار المهني، بحيث يمكن وضع كل فرد في العمل الملائم لاستعداداته وقدراته.

الفروق الفردية في الهدي النبوي الشريف:

أشار الحديث إلى الفروق الفردية بين الناس. فعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحَزْن، والخبيث والطيب)**[1].

يُشير هذا الحديث إلى اختلاف الناس في ألوانهم، وطباعهم وأخلاقهم. وكما توجد في الأرض مناطق مختلفة الألوان، ومناطق سهلة مستوية، ومناطق وعرة صعبة الاجتياز، فكذلك توجد بين الناس فروق في اللون، فمنهم الأحمر والأبيض والأسود، وما بين ذلك

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٩٥٥) وقال: حديث حسن صحيح.

مـن درجات هذه الألوان؛ وكذلك توجد بينهم فروق في الطباع والأخلاق والاسـتعدادات المزاجية والانفعالية، فمنهم حسـن الطبع والخُلُق، لين العريكة، سـهل المعاملة؛ ومنهم من هو سيئ الطبع والخُلُق، فظ خشن في تعامله مع الناس. ويُشير الحديث إلى أن الفروق بيـن الناس في الألوان، وفي الطبع والاسـتعدادات المزاجية والانفعالية فروق جِبلِّية، أي إنها ترجع إلى فروق في التكوين البدني.

وعن أبي موسى، أن رسول الله ﷺ قال: (**مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثـل الغيـث الكثير، أصاب أرضًا؛ فكانت منهـا طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشـب الكثيـر. وكان منها أجادب، أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقـوا، وزرعـوا. وأصـاب طائفة منها أخرى، إنمـا هي قيعان لا تمسك مـاءً، ولا تُنبت كلأً. فذلـك مثـل مـن فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله بـه فعَلِم، وعلّم. ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله، الذي أُرسلت به**)[١].

لقد وصـف الرسـول ﷺ في هذا الحديث الفروق بين الناس في القدرة على التعلم والفهم والتذكر. وهي قدرات تدخل في مفهوم الذكاء، وصنف الناس بالنسبة إلى الذكاء ثلاثة أصناف، فمنهم من هو مثل الأرض الطيبة قادر على تحصيل العلم وحفظه والعمل به وتعليمه للغير، فينفع به نفسه وينفع به غيره. ومنهم من هو مثل الأرض الجدباء (وهي الأرض الصلبة التي لا تشرب الماء)، قادر على حفظ العلم ونقله إلى غيره، فينفعه دون أن ينفع به نفسه. ومنهم مثل القيعان (وهي الأرض المستوية الملساء التي لا نبات فيها)، وهم من لا ينتفعون بالعلم ولا يحفظونه لينقلوه إلى الغير.

وأشـار الرسـول ﷺ إلى الفروق بين الناس في الذكاء، فقد صـح عن عائشـة رضي الله عنها أَمرنا رسـول الله ﷺ: «**أن ننـزل الناس منازلهم**»[٢]. وروي عنـه ﷺ أنه قال: «**أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٧٩) ومسلم (رقم ٢٢٨٢).
(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (ص ٢٠).
(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس (١/٣٩٨ رقم ١٦١١) وضعفه العجلوني في كشف الخفاء (١/١٧٧ رقم ٥٩٢).

في هذا الحديث إشارة واضحة إلى الفروق بين الناس في قدراتهم العقلية، ما يوجب على من يقوم بتوجيههم وتعليمهم، سواء كانوا أنبياء أو معلمين ومربّين، أن يراعوا هذه الفروق، فيكلمون كل فرد أو يعلمونه، على قدر مستوى قدراته العقلية. وقد وضع الرسول ﷺ بهذا الحديث قاعدة تربوية مهمة أخذ بها المربُّون المسلمون، ويأخذ بها كذلك المربُّون في العصر الحديث.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (**ألا وإن منهم** (بني آدم) **البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء؛ فتلك بتلك. ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء. ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء**)[١].

وأشار الحديث إلى الفروق بين الناس في استثارة انفعال الغضب، وصنّف الناس بالنسبة إلى ذلك ثلاثة أصناف، فمنهم من هو بطيء الغضب، لا يغضب إلا نادرًا، وإذا غضب فإنه يرجع عن غضبه، ويعود إلى هدوئه سريعًا، وهذا هو أفضل الناس. ومنهم من يكون سريع الغضب، يغضب لأتفه الأسباب، ويكون سريع الرجوع عن الغضب، وسريع العودة إلى هدوئه. ومنهم من يكون سريع الغضب، وإذا غضب يستمر في غضبه، ولا يرجع عنه بسهولة، ولا يعود إلى هدوئه إلا بعد مدة طويلة، وهذا هو أسوأ الناس وشرهم.

ويشير كل من (نعيم أسعد الصفدي، وعبداللطيف مصطفى الأسطل، ٢٠٠٩) إلى الأساليب التي استخدمها النبي ﷺ لمراعاة الفروق الفردية[*][٢]:

أن النبي ﷺ وهو المعلم الأول للبشرية قد استخدم كثيرًا من الأساليب النفسية والتربوية التي تراعي الفروق الفردية بين الناس، كما يأتي:

- إثارة دافعية المتعلمين لعملية التعلم؛ ليكتشف قدراتهم ومواهبهم.
- تنوع أساليب التعزيز.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٥٢/٢ رقم ١١٠١) وأحمد (٢٢٧/١٧-٢٢٨ رقم ١١١٤٣) وذكره ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ (٧٤٧/١١ رقم ٩٤٤٤).

(٢) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ارجع إلى: نعيم أسعد الصفدي، عبداللطيف مصطفى الأسطل (٢٠١٠)، الفروق الفردية في ضوء التربية النبوية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد ١٢، العدد الأول.

openkanal.com

- تكرار الكلام ورفع الصوت وتغيير الجلسة.
- استخدام الوسائل التوضيحية المعينة مراعاة للفروق الفردية.
- استخدام التعلم الجمعي والتعلم الفردي.
- التمييز بين الأذكياء والعاديين وضعاف العقول.
- استخدام أسلوب التدرج في الدعوة مقدمًا الأهم على المهم ومراعاة الفروق الزمنية في ذلك.

مراعاة النبي ﷺ الفروق الفردية عند الناس:

وفيما يأتي نعرض كيفية مراعاة النبي ﷺ للفروق الفردية بين الناس:

- تخصيص بعض الصحابة ببعض الأخبار.
- الامتناع عن ذكر بعض الأمور خوفًا من التأويل.
- اختلاف الإجابات عن السؤال الواحد مراعاة للفروق بين السائلين.
- اختلاف الوصايا باختلاف أحوال الطالبين منه.
- اختلاف أحاديث النبي ﷺ حول أفضل الأعمال لاختلاف الفروق الفردية.
- مراعاة قوة الإيمان وضعفه.
- تعدد مستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبعًا للفروق الفردية.

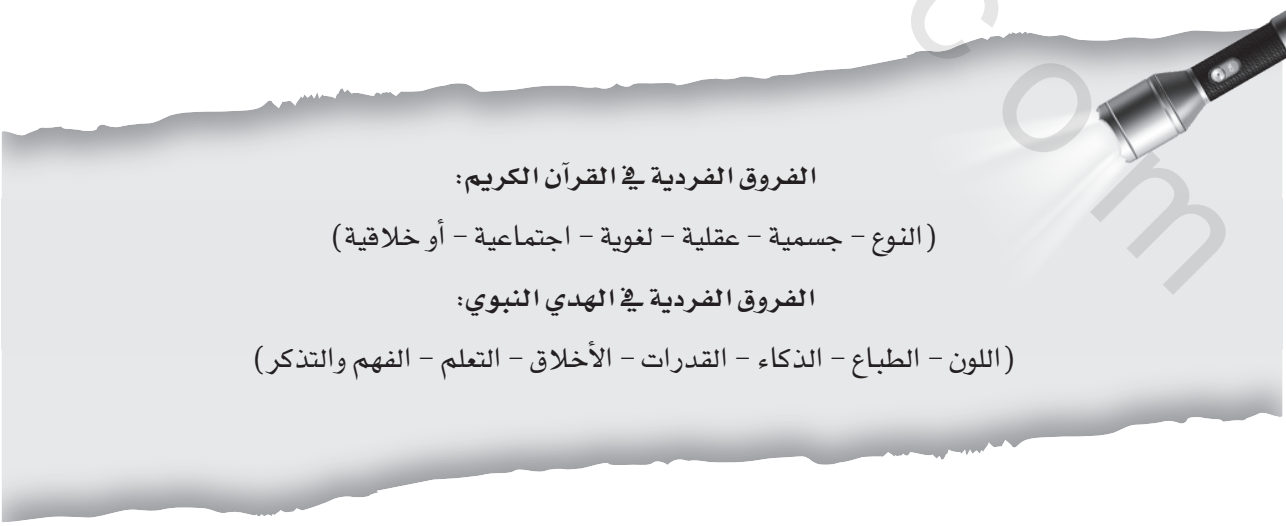

الفروق الفردية في القرآن الكريم:

(النوع - جسمية - عقلية - لغوية - اجتماعية - أو خلاقية)

الفروق الفردية في الهدي النبوي:

(اللون - الطباع - الذكاء - القدرات - الأخلاق - التعلم - الفهم والتذكر)

obeikandl.com